

مكافحة الراديكالية والتطرف العنيف: رؤية شرعية

إعداد

د. عبد الرزاق عبد المجيد أالارو

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والقانون، جامعة إالورن الحكومية، نيجيريا

عضو المجلس الاستشاري للبنك المركزي النيجيري

عضو المجلس الاستشاري للهيئة الوطنية للتأمين

رئيس مجمع السنة للدعوة والبحوث في نيجيريا

رئيس لجنة البحوث والدراسات والترجمة باتحاد علماء أفريقيا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من سنن الله الكونية أن الناس في اتباع أوامر الدين واجتناب نواهيه بين مفرط ومفرط، فجعل الله تعالى الخير في التوسط بينهما وقال: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: 143].

ولئن كانت الأمة قد عانت -ولا تزال- من تفريط بعض أفرادها وتساهلهم في التمسك بمبادئها، إلا أن الخطر الأكبر كامن فيما جنحت إليه فئة من هذه الأمة من الإفراط والتطرف، وما اقترن به ذلك من العنف والتخريب الذي أكل الأخضر واليابس.

لقد شوّهت تصرفات الغالين المتطرفين من أفراد هذه الأمة الصورة الناصعة لديننا، دين السلام والوئام، ما شكك عددًا ليس بالقليل من غير المسلمين -بل ومن بعض المسلمين أنفسهم- في حقيقة هذا الدين، وفيما يدعو إليه من السلام والتعايش السلمي بين مكونات المجتمع. لذا، تقع مسؤولية كبرى على العلماء والباحثين وسائر جهات الاختصاص في تقديم الصورة الصحيحة لهذا الدين الحنيف، والبحث عن الأسباب الحقيقية وراء تفشي ظاهرة الغلو والتطرف، واقتراح أنجع الحلول وأنسبها لمعالجة داء التطرف، ورسم خارطة طريق نحو وقاية الجيل القادم من الوقوع في هذا المأزق من جديد، لا سمح الله. وما البحث الذي بين أيديكم إلا جهد مقلٍ نحو الإسهام في مكافحة الغلو والتطرف الديني وقايةً وعلاجًا، ولهذا انتظمت مباحثه في ثلاثة على النحو المذكور أدناه:

فالمبحث الأول مخصص لبيان حقيقة "الراديكالية" والتطرف، وإيضاح موقف الإسلام منهما، مع ذكر نماذج من الحركات والتصرفات المتطرفة عبر التاريخ. أما المبحث الثاني ففيه تمت دراسة أبرز أسباب انتشار التطرف في المجتمعات المعاصرة ودوافعه، تمهيدًا للمبحث الثالث والأخير الذي حُصِّص لاستعراض طرق وأساليب مكافحة التطرف في هذه

المجتمعات. وتأتي خاتمة البحث في نهايته لتقديم أبرز النتائج وما يوصي به الباحث من التوصيات.

ويسعدني في هذا المقام أن أشيد بجهود القائمين على هذا الملتقى الدولي، الذي نظم للتباحث حول قضية من أهم قضايا الساعة بالنسبة للمسلمين. فشكري وتقديري لمعالي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ولسعادة رئيس البنك الإسلامي للتنمية، ولمعالي رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر، وجميع أعوانه ومساعديه. والله أسأل أن يبارك جهودكم وأن يتوّج أعمال هذا الملتقى بالنجاح.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

د. عبد الرزاق عبد المجيد الأارو

المبحث الأول: حقيقة الراديكالية والتطرف وموقف الإسلام منهما

المطلب الأول: التعريف بالراديكالية وبالتطرف

الراديكالية لغةً نسبة إلى كلمة راديكس radix اللاتيني وتعني الجذر⁽¹⁾. واصطلاحاً، تعني نهج الأحزاب والحركات السياسية التي تتوجه إلى إحداث إصلاح شامل وعميق في بنية المجتمع. فالراديكالية بذلك على تقاطع مع الليبرالية الإصلاحية التي يكتفي نهجها بالعمل على تحقيق بعض الإصلاحات في واقع المجتمع. وبحسب دائرة المعارف البريطانية، فقد أطلق مصطلح "الراديكالية" لأول مرة في المملكة المتحدة من قبل عضو البرلمان Charles James Fox، الذي دعى عام 1797م إلى إصلاح "راديكالي" للنظام الانتخابي "radical reform of the electoral system"⁽²⁾.

أما في الاصطلاح المعاصر، فلا يكاد يطلق مصطلح الراديكالية إلا على الجماعات المتطرفة والمتشددة في مبادئها.

والتطرف "تفعل" من طرف الشيء بمعنى حدّه وحرفه⁽³⁾، ويعني: مجاوزة حد الاعتدال. يقال: فلان تطرف أي أتى الطرف، وتطرفت الشمس أي دنت للغروب. (4) والتطرف الديني معناه: "الغلو في عقيدة دينية تختص بدين أو جماعة أو حزب"⁽⁵⁾.

ومن مترادفات لفظ التطرف: الغلو، ويعني كذلك: ارتفاعاً ومجاوزةً قَدْرٍ، يقال: غَلَا السِّعْرُ يَغْلُو غَلَاءً، إذا ارتفع، وَغَلَا الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ غُلُوًّا، إذا جَاوَزَ حَدَّهُ"⁽⁶⁾. قال الحافظ ابن حجر: "وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"⁽⁷⁾.

1 (https://en.wikipedia.org/wiki/Radicalism_(historical) (

Encyclopaedia Britannica (2

3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 447/3

4) المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين 555/2

5) معجم مصطلحات العلوم الشرعية، لمجموعة من المؤلفين 469/1

6) معجم مقاييس اللغة 387/4-388

7) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 278/13

ومن خلال التعريفات السابقة لمصطلحي "الراديكالية" والتطرف أو الغلو، نخلص إلى حقائق تستحق التنبيه عليها في هذه المرحلة من البحث، وهي ثلاث:

الحقيقة الأولى: أن الراديكالية لا تستلزم الذم في أصل استخدامها إذا كان المقصود منها إحداث تغيير جذري إيجابي في المناخ السياسي أو الاجتماعي أو التعليمي، أو كان المراد بها الرجوع إلى الأصول والمبادئ الأساسية الصحيحة للدين، دون مجاوزة للحد. أما مصطلح التطرف أو مرادفه الغلو فلا يستخدم إلا فيما يذم، لأن أصل معنييهما: التشديد ومجاوزة حد الاعتدال.

ومن هذا المنطلق نبّه إلى خطأ ما انتشر في وسائل الإعلام العربية من وصم كل محاولة للالتزام بأحكام الدين الإسلامي ومبادئه الصحيحة، كما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ١٢ بـ"الأصولية الإسلامية" آخذة المصطلح ذاته: "الأصولية-Fundamentalism" من نظيراتها الغربية، التي لم تعرف في تاريخها عن "الأصولية" إلا الويل والعذاب.

فقد نقل الدكتور عبد الرحمن اللويحق عن باحث فرنسي مهتم بالدراسات المتعلقة بالإسلام والمسلمين قوله: "إن العادة جرت أن تستخلص الأفكار، وتصاغ المفاهيم المستخدمة للتفكير فيما يحدث في الخارج انطلاقاً من دراسة الأديان الغربية فحين ينظر إلى أحداث العالم الإسلامي من باريس أو نيويورك فإنما تُرَدُّ إلى ما يسمى: "الأصولية" الإسلامية التي هي ترجمة لمصطلح "Intergrisme" الفرنسي، أو "Fundamentalism" الإنجليزي، وهما مقولتان ولدتا في العالمين: الكاثوليكي والبروتستانتي على التوالي، وإن استخدامهما على سبيل الاستعارة أو المجاز لا يعني أن لهما قيمة كونية مسكونية شاملة، بل إني على العكس من ذلك أعتقد أنهما تبسيطيان يختزلان الظاهرة، ويحرفانها، وأنهما يعيقان معرفتنا بتلك الظواهرات في مجملها. ثم إن عجزنا الإجمالي عن تفسير أو تأويل الحركات الإسلامية اليوم إنما يعود إلى حد بعيد إلى استخدامنا هذه النظارات القديمة التي نضعها على أعيننا؛ لأننا لا نجد في عجالة أمراً خيراً منها، لكن كل ما تقوم به هو زيادة التشويش في إدراكنا. لقد حان الحين

للبدء بقبول التحدي الذي تطرحه الحركات الدينية المعاصرة على طرق تفكيرنا التقليدية، غير أن هذا ليس ممكناً إلا إذا أخذناها بإجمالها كلاً وجميعاً⁽¹⁾.

إن الخلفية التاريخية الموجودة لدى الغربيين تجعلهم إذا سمعوا كلمة "الأصولية" تمتلئ أذهانهم رعباً ونفرةً بسبب ما صاحبها من المعاملات الهمجية التي اقترفها إخوانهم النصراني باسم الدين، حيث حوربت الإنسانية والتقدم العلمي فيما عرف في التاريخ بمحاكم التفتيش⁽²⁾، والتي من خلالها نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب، وأحرقت ما الله أعلم به من النفوس. فمن الظلم إسقاط هذا المصطلح على المسلمين أو على طائفة منهم. وفي هذا يقول الباحث الفرنسي مرة أخرى: "هذان المصطلحان⁽³⁾ ينقلان إلى العالم المسلم أدوات فكرية صاغت تفسيراً للحظات خاصة في تاريخ الكاثوليكية والبروتستانتية على التوالي، ولا نجد مبرراً لمثل هذا النقل"⁽⁴⁾.

الحقيقة الثانية: أن العُلُوّ ليس دائماً دليلاً على خطأ المذهب أو الدين، وإلا لكانت كل الأديان والمذاهب باطلة، لعدم وجود مذهب أو دين إلا وفي أتباعه غُلاةً متطرّفون⁽⁵⁾. ولذلك فإنه من العُلُوّ والتطرّف أيضاً أن نطعن في دين أو مذهب أو جنس ما، لمجرد وجود من غلا وتطرّف فيه⁽⁶⁾؛ فالتطرّف أو الغلو لا دين له ولا جنس يختص به، بل هو آفة عالمية منبوذة من جميع الأديان والأجناس.

(1) انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص14، وهو ينقل عن: جيلز كيبل في كتابه: يوم الله ص11

(2) يقول المؤرخ ول ديورانت عن هذه المحاكم وبشاعتها: " وإذا ما عفونا عن بعض هذا الشذوذ الجنسي والانحماك في ملاذ المأكل والمشرب [أي للأساقفة والباباوات]، فإننا لا نستطيع أن نعفو عن أعمال محاكم التفتيش". قصة الحضارة ل ول ديورانت 86/21

(3) يعني مصطلحي "الأصولية" في الفرنسية والإنجليزية.

(4) النبي والفرعون ل جيلز كيبل ص231-232، انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص13

(5) للمزيد عن الجماعات المتطرفة سواء من اليهود أو النصراني، يمكن الرجوع إلى كتاب: القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب للدكتور محمد بن عبد الله السلومي

(6) انظر: الولاء والبراء بين السماحة والغلو للدكتور حاتم بن عارف الشريف ص38

الحقيقة الثالثة: كما أنه لا تلازم بين التدين والتطرف، فكذلك لا تنافر بينهما؛ فقد يكون المرء غالباً ومتطرفاً—أي يجاوز ما هو المطلوب في الشرع قولاً أو عملاً أو اعتقاداً—مع ما يا يظهر عليه من علامات التدين وأمارات الالتزام، فلا يغتر الناس بذلك. عن أبي سعيد الخدري τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئاً وينظر في القدح فلا يرى شيئاً وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفوق"⁽¹⁾. وهذا الحديث من أكثر ما يستدل به العلماء على إخبار النبي ρ سلفاً بفتنة الخوارج الذين جاء وصفهم في حديث آخر بأنهم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان" وتوعدهم النبي ρ في الحديث بنفسه قائلاً: "لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"⁽²⁾.

(3) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري 1928/4، وصحيح مسلم 741/2

(4) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري 1219/3، وصحيح مسلم 741/2

المطلب الثاني: نماذج من الحركات والتصرفات المتطرفة عبر التاريخ

1- قوم نوح عليه السلام وتطرفهم في محبة الصالحين

مما سطره التاريخ من أوضح نماذج التطرف والغلو وآثارها الوخيمة ما جرى من قوم نبي الله نوح ٧ من غلوهم في أناس كانوا صالحين⁽¹⁾، فلم يقف الأتباع عند حد توقييرهم وإجلالهم ومحبتهم، بل تطرفوا في ذلك حتى عبدوهم من دون الله ٧، فكان ذلك بداية عبادة الأصنام والأوثان في بني الإنسان. فقد أخرج البخاري بإسناده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو يفسر قول الله تعالى: ((وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا))⁽²⁾ أنه قال: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وِدّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سوع كانت لهذيل، وأما يعوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عُبدت"⁽³⁾.

2- تطرّف اليهود في عزير وتطرف النصارى في المسيح ٧

وفي هذا يقول الله ٧: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتَّلهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ " [التوبة : 30].

فزعم اليهود أن عزيرًا -وهو المشهور عندهم بعزرا الكاتب- ابنُ الله، لأنه في اعتقادهم هو من استطاع إعادة جمع أسفار العهد القديم وترتيبها من جديد بعد عودة اليهود من السبي البابلي⁽⁴⁾. وأما النصارى ففعلوا في نبي الله عيسى ٧ واعتبروه ابنا لله لكونه قد ولد من

¹ انظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، لعلي بن عبد العزيز الشبل، ص 20

² سورة نوح: 23

³ صحيح البخاري 4/ 1873

⁴ انظر: قاموس الكتاب المقدس ص 621، ومصادر النصرانية: دراسة ونقدا ل عبد الرزاق عبد المجيد أأرو 167/1

غير أب. وقد ردّ الله هذه الفرية مبينا أن خلق المسيح معجزةً إلهيةً مثلها بل وأعظم منها معجزةً خلق آدم عليه السلام بلا أب ولا أم، قال تعالى: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [آل عمران: 59].

3- تطرف الشيعة في محبة علي و ذريته من بعده

لقد وصل غلو الشيعة وتطرفهم في زعمهم محبة أهل البيت إلى حد وصفهم ببعض أوصاف الإله، وزعموا أن مقام الأنبياء دون مقام أئمة أهل البيت، وأنه لا يؤخذ شيء من الدين أصوله وفروعه إلا عن طريق هؤلاء الأئمة، وأنه لا يخفي عليهم شيء من أمور الكون والخلق، وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. ومن ذلك ما يروونه -زورا وبهتاناً- عن جعفر الصادق أنه قال: "إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون"⁽¹⁾.

4- تطرف الخوارج في تكفير عصاة الموحدين

فالخوارج غلوا وتطرفوا في التكفير، حتى حكموا بالكفر على مرتكب للكبيرة مهما قوي إيمانه وبلغت حسناته، فاستحلوا بذلك دماء الأبرياء، وأحدثوا من الهرج والفتن ما الله تعالى وحده به عليهم.

ففي البداية سعت الخوارج بالفتنة والخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه، ابتداءً من خروج قولبي عليه ثم خرجوا عليه بالفعل بحصاره وشتمه وذمه ثم بقتله - رضي الله عنه. وتطور الأمر بعد ذلك إلى أن أظهرت الخوارج عقيدة جديدة وغريبة وهي حكمهم على ولاة أمور المسلمين وعامتهم بالكفر بمجرد ارتكابهم لذنوب، وترتب على هذا النهج التكفيري الخروج على المكفّرين بالسيف، واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم⁽²⁾.

(1) انظر من مصادر الشيعة أنفسهم: أصول الكافي للكليني 177/1 و260، وبحار الأنوار للمجلسي 259/100 وبصائر الدرجات الكبرى لأبي جعفر الصفار ص142-147، 270 وللتفاصيل يمكن الرجوع إلى: موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرفضة وموقف الرفضة منهم ل عبد الرزاق عبد المجيد أيارو 107-103/1

(2) الجذور التاريخية لحقيقة الغلو ... مرجع سابق ص33-34

المطلب الثالث: موقف الإسلام من الغلو والتطرف

من الأصول التي أجمع عليها المسلمون في السابق واللاحق أنّ الغلو والتطرف شر كله، وأن دين الله تعالى وسطٌ بين الإفراط (الغلو) والتفريط (الجفاء)، وقد تنوعت طرق دلالة الكتاب والسنة على ذلك، نذكر منها ما يلي:

1- النهي الصريح عن الغلو والتطرف

ومن أدلة ذلك قول الله تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ " [النساء: 171]، وقوله تعالى: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " [المائدة: 77]، والخطاب في الآيتين موجه للمسلمين كما هو موجه لأهل الكتاب، لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت النهي عنه في شرعنا.

وعن ابن مسعود τ قال: قال رسول الله ρ : "هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون"⁽¹⁾. قال النووي -رحمه الله- : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"⁽²⁾.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله ρ غداة العقبة وهو واقف على راحلته : هات القط لي، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف فوضعهن في يده فقال: "بأمثال هؤلاء" مرتين ... وقال: "إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"⁽³⁾.

2- الدعوة إلى نقيض الغلو والتشدد

وذلك في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" [البقرة: 185]، وقوله تعالى: "وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" [الحج: 78]. أما الأحاديث الصحيحة الثابتة في ذلك فمنها قول النبي ρ : "إن الدين يسر ولن يشاد الدين

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 2054/4 (باب: هلك المتنطعون)

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 220/16

(3) أخرجه الإمام أحمد في المسند 298/5، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن الحصين، فمن رجال مسلم"

أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"⁽¹⁾. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الحبل". قالوا هذا حبل لزینب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، حلّوه ليصل أحدكم نشاطه؛ فإذا فتر فليقعده"⁽²⁾.

3- نصب ميزان التوسط والاعتدال والدعوة إليه والإغراء بمباشرة وتمثله⁽³⁾

قال تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة: 143]، وقال تعالى: "وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا" [الإسراء: 110].

ويجدر بالتنبيه ههنا أن ذم الغلو والتطرف يجب أن يفهم في سياقه الصحيح. فالغلو - كما سبق - مجاوزة للحد، ولا يمكن معرفة ما جاوز الشيء إلا بعد معرفة الشيء نفسه. ولهذا أتى الفقيه المالكي أحمد بن غنيم النفراوي في تعريفه للغلو بضابط مهم، وقوله: إن الغلو: "الرِّيَازَةُ عَلَى مَا يُطَلَّبُ شَرْعًا"⁽⁴⁾. أي أنّ الحد الذي يجب الوقوف عنده، ويعتبر من تجاوزه غالبًا متطرفًا هو الحد الشرعي؛ إذ لا غلو ولا تطرف فيما ثبت أنه من الشرع. وتظهر أهمية هذا الضابط في أن عدمه يؤدي إلى الفوضى والخلط؛ حيث يدعي كل متساهل أو مقصّر في شيء من الأوامر الشرعية بأن من أتى به قد تطرف في الدين. وأمثلة هذا كثيرة في المجتمعات المعاصرة، كنظرة النساء الكاسيات العاريات من المسلمات إلى المرأة المحتشمة في حجابها على أنها "متطرفة"، ونظرة من يتمسك ببدعة من البدع كالاحتفال بالمولد النبوي إلى من لم يؤيده في ذلك أو ينكر عليه على أن هذا المنكر متطرف غال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ"⁽⁵⁾.

(1) صحيح البخاري 23/1

(2) المصدر نفسه 386/1

(3) انظر مقدمة الشيخ زين العابدين الركابي على كتاب: مشكلة الغلو... ل عبد الرحمن بن معلا اللويحيق ص: ز

(4) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني 1 / 495

(5) متفق عليه: انظر صحيح البخاري 959/2، وصحيح مسلم 132/5

المبحث الثاني: أسباب انتشار التطرف في المجتمعات المعاصرة ودوافعها

للتطرف أسباب ودوافع تمس جوانب مختلفة من جوانب الحياة. وبعض هذه الأسباب قد يرجع إلى عامل اجتماعي أو سياسي أو تعليمي أو تربوي، وقد يكون السبب وراء التطرف عاملاً خارجياً لم ينبع أصلاً في بيئة المتطرف وإنما وصلت إليه تأثيراته. وعلى العموم يمكن إجمال أبرز أسباب الغلو والتطرف في الآتي:

1- الجهل

من أهم أسباب انتشار التطرف الديني اليوم الجهل، ولهذا تجد أن جل من يقعون فريسة هذا الداء من صغار السن الذين لم يحصلوا القدر الكافي من العلم الشرعي، وقد جاء وصف الخوارج في حديث صحيح بأنهم "أحداث الأسنان سفهاء الأحلام"⁽¹⁾. فترى هؤلاء الأحداث ينقادون خلف حماسهم، أو ما تمليه عليه عقولهم، فيترخصون في أشياء منع منها الشرع.

فعلى سبي المثال، يتكلم بعضهم في تكفير المعين لأسباب يراها هو مكفرة، ناسياً أو متناسياً أن هناك عذراً بالجهل، وعذراً بالشبهة، وعذراً بالتأويل، وأنه لا بد من إقامة الحججة على هذا الشخص المعين قبل الحكم عليه بالكفر من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحكم على معين بالكفر حكم شرعي تترتب عليه آثاره، لا على المعين وحده بل وعلى أزواجه وربما أولاده في أبواب فقهية عدة منها النكاح والطلاق والإرث، فلا بد أن يصدر هذا الحكم من جهة شرعية قضائية، تؤسس حكمها على اليقين لا على الشك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحججة، وتبين له المحججة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك"⁽²⁾.

(1) متفق عليه: انظر صحيح البخاري 1321/3، وصحيح مسلم 746/2

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية 466/12

والجهل هنا لا يقتصر على الجهل في جانب المعلومات، بل قد يكون في جانب إسقاط ما تعلمه المتطرف على واقع معيّن، إذ قلّ أن تجد متطرفاً لا يستدل بآية قرآنية أو حديث نبوي ولكن في غير موضعيهما وعلى خلاف وجه استدلالهما الصحيح. فتجدهم يستدلون بآيات نزلت في الكافر الحربي على الذمي أو المستأمن، ويأتون إلى قصة حدثت في عهد قوة المسلمين فسيقظها على حالة ضعفهم، وهكذا. ولهذا جاء وصف المتطرفون مرة أخرى في حديث صحيح بأنهم "يقولون من خير قول البرية"⁽¹⁾. قال النووي -رحمه الله-: "معناه: في ظاهر الأمر، كقولهم لا حكم إلا لله، ونظائره من دعائمهم إلى كتاب الله تعالى"⁽²⁾.

2- الاجتهاد من غير أهلية والتعامل المباشر مع النص والفهم الحرفي له

إن سوء الفهم عموماً آفة لا يستهان بأمرها وتأثيراتها السلبية، ويزداد الطين بلة إذا كان الأمر متعلقاً بالأمر العظام، كالدين والدماء والأعراض. وكون الإنسان قد أوتي جدلاً، أو يجيد فن التلبيس والتدليس والمراوغة في الحوار، لا يدل على صواب ما يدعو إليه، فضلاً عن أن يكون ذلك أمانة على سعة علمه أو تأهله لمقام الاجتهاد.

الاجتهاد المعترف شرعاً، والذي يرفع به الوزر، ويثبت به الأجر للمجتهد هو ما كان واقعاً ممن هو أهل للاجتهاد. فدعاة التطرف يجتهدون من غير تأهل لذلك، فقالوا في دين الله بغير علم.

ولقد كان التعامل المباشر مع النص سبباً لانحراف الخوارج حملة لواء الغلو في أمة محمد ρ ، فإنهم كانوا معرضين عن السنة وعن أقوال الصحابة -رضوان الله عليهم- وتعاملوا مع نصوص الشريعة مباشرةً وأخذوا بظاهرها وحرفيتها، ثم تتابع الانحراف جيلاً بعد آخر حتى وصلت الأمور إلى ما نشاهده اليوم من الفوضى الفكري⁽³⁾.

(1) هكذا ورد في حديث رواه علي τ عن النبي ρ أنه قال: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموه فاقتلوه فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة". متفق عليه، انظر صحيح البخاري 1321/3، وصحيح مسلم 746/2

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 169/7

(3) انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة، للويحق ص 60-61

3- اتباع المتشابه من نصوص الوحيين

إن اتباع المتشابه من سمات الذين في قلوبهم زيغ، كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} آل عمران 7. قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره للآية: "يخبر تعالى أنّ في القرآن آيات محكمات، هنّ أم الكتاب، أي بيّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات آخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه" (1).

فاتباع المتشابه من أهم أسباب التطرف الفكري، ذلك أن هناك بعض النصوص تحتاج إلى الراسخين من العلماء ليفهموها فهما صحيحا، فإذا ما نظر فيها من ليس من أهل العلم، فقد يقع في المحذور، ويخرج عن حد التوسط الذي هو من أهم صفات هذه الأمة. ومما زاد من خطورة هذا المسلك سرعة تدفق المعلومات، وسعة انتشارها، وسهولة الوصول إليها عن طريق الإنترنت والفيديو وسائر وسائل التواصل الاجتماعي. فما أكثر المواقع التي همها إثارة الشبهات وضرب أدلة الشرع بعضها ببعضها، فإذا دخل الشاب المتحمس للدين في هذه المتاهات من غير قائد ولا مرشد، فلك أن تتصور ما يتلوث به فكره ونظرته إلى مجتمعه وهو يقلب صفحات تلو أخرى من الشبهات تثار حول العلماء والحكام والمجتمع بأسره (2).

4- غياب أو تغييب دور العلماء الربانيين في توجيه الأمة

(1) تفسير القرآن العظيم (تفسير بن كثير) - طبع دار الفكر - 424/1

(2) بتصرف من مقال بعنوان: التطرف والغلو، نشر في موقع:

<https://www.assakina.com/book/27192.html>، تاريخ زيارة الموقع 20/12/2017م.

إن العلماء هم صمام أمان هذه الأمة، وهم مصاييح الدُّجى، الذين يُهتدى بهم في ظلمات الجهل والفتن، فإذا ما تقاعس العلماء عن القيام بدورهم كان ذلك دافعا لأن يظهر الأعمار، وأنصاف المتعلمين، ليفتوا الناس في الحلال والحرام، وفي قضايا الساعة، فيكون التطرف. قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} آل عمران: 187.

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتهم ذلك، ويخل عليهم به، خصوصا إذا سأله، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربه، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان..."⁽¹⁾.

وفي نظري فإن من أهم ما يجب بيانه وحسم الخلاف فيه اليوم ما يتعلق بالموقف من أدبيات دعاة الغلو والتطرف وتقريراتهم التي يغرون بها عوام الناس، لا سيما الشباب. لكن الملاحظ في المجتمعات المعاصرة - وقد سبقني إلى ذلك كتاب آخرون- أن كثيراً من العلماء قد توانوا في هذا الأمر لحساسيته، فلم يبينوا بيانا شافيا في الكلام عن الغلو وعوامله وأسبابه، والذين تكلموا في هذا الأمر اختلفوا فلم يحسموا الأمر. في حين ينشط منظرو أفكار التطرف في طرح قضايا مهمة وخطيرة، يثور حولها الجدل ويثيرون حولها الشبه، مثل ما يتعلق بحكم الحاكم بغير ما أنزل الله، والمعاهدات بين الدول الإسلامية وغيرها، ومقتضيات الولاء والبراء، وغيرها⁽²⁾.

5- محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنة

ما نلاحظه ونلمسه في كثير من المجتمعات المعاصرة -المسلمة منها وغيرها- من التضييق على الصالحين والمتمسكين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والأمين بالمعروف

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ص160

(2) انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة للوبق ص 74، ومقال بعنوان: التطرف والغلو، نشر في موقع:

https://www.assakina.com/book/27192.html، تاريخ زيارة الموقع 20/12/2017م.

والناهين عن المنكر، في مقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، يعد من أعظم ما يستفز ذوي الغيرة والاستقامة، وربما دفع بعضهم إلى الغلو والتطرف العنيف⁽¹⁾.

6- الأسباب النفسية

من الملاحظ أن من أسباب اندفاع البعض إلى الغلو والتطرف ما يرجع إلى عامل نفسي ظهر أثره من خلال التصرفات غير السوية لدى المتطرفين.

فإذا تأمل المرء في السير الذاتية للكثيرين ممن وقعت منهم الأعمال المتطرفة في المجتمعات المعاصرة تجدهم ممن يفتقدون التوافق مع المجتمع، ولكنهم حين افتقدوا هذا التوافق لم يصيروا إلى الأساليب الشرعية في التغيير، ودعوة الناس إلى دين الله. وإنما أدى عدم توافقتهم مع مجتمعهم إلى جانب افتقادهم للقدرة على التغيير وفق الضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى القول بوجوب الهجرة، وحرمة الصلاة في المساجد مع المسلمين، والقول بجرمة العمل في الوظائف الحكومية، في جملة أخرى من مظاهر التطرف.

وعدد آخر ليس بالقليل من المتطرفين مشكلتهم في الأساس هي الاضطرابات النفسية والسلوكية التي عانوا منها فترة من الزمن. فالعدوانية الناجمة عن العلاقات الأسرية السيئة تعد من عوامل ظهور الاضطرابات النفسية، كما أن اضطرابات التفكير هي من الاضطرابات النفسية، وكل أولئك قد يكون من أسباب الغلو عند بعض الأفراد.

ومن العوامل النفسية وراء تطرف الإنسان طبيعة شخصيته وتكوينه الفردي. فمن أنماط الشخصية: الشخصية المتسلطة المستبدة، التي تتسم بدافع السيطرة، والتسلط على الآخرين. ومن شأن مثل هذا السلوك الاستبدادي أن يولّد الغلو في المستبد، بحيث لا يعجبه سوى

(1) انظر: الغلو الأسباب والعلاج للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، ص14 (نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة).

رأيه، ولا سبيل للخلاف معه أو إبداء وجهة نظر مخالفة لما هو عليه من فهم سقيم لنصوص الشرع⁽¹⁾.

والْيَأْسُ من أكبر علامات الهزيمة النفسية ومن الصفات التي قد تؤدي بصاحبها إلى الغلو والتطرف. فالشخص اليأس دائماً في انتظار الشر وتوقعه، لا يرى شيئاً يبعث على التفاؤل، وإن وجد شيئاً يدعو إلى التفاؤل، حمله أيضاً على محمل سيء، فظن فيه شرّاً. وهذا ما يحمل كثيراً من الشباب إلى الإفراط، فيتطرف في أقواله وأفعاله وطريقة تفكيره واعتقاده. ولقد حارب الإسلام هذه الصِّفة الذميمة، ودعا إلى عكسها: التفاؤل، وتوقع الخير. قال تعالى: {إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} يوسف: 87. وعن أنس τ قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة"⁽²⁾. فالمسلم السوي الملتزم بأوامر الله ورسوله ρ لا يعرف اليأس طريقاً إلى قلبه، فهو دائماً واثق بنصر الله تعالى، أما الذي يسيطر عليه اليأس، فإنه يتخبط في ظلمات من الإحباط، وفقد الأمل، وربما تطرف في سلوكه، فوقع فيما حرمه الله سبحانه وتعالى⁽³⁾.

7- الأوضاع الاقتصادية المحلية

توقّر الدرجة العالية من الفقر والبطالة في كثير من المجتمعات الإسلامية فرصة سانحة للمتطرفين لجلب الناس إلى صفوفهم إما بالترهيب أو الترغيب. فإذا انضم إلى ذلك شعور الفقير أو العاطل عن العمل بالظلم تجاه أولياء الأمور، فحدّث ولا حرج عن حوافز حقيقية لإغراء الناس برفع السلاح ضد السلطان.

(1) بتصرف من: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة، للويحق ص 64-66

(2) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري 2171/5، وصحيح مسلم 1746/4

(3) بتصرف من مقال بعنوان: التطرف والغلو، نشر في موقع:

<https://www.assakina.com/book/27192.html>، تاريخ زيارة الموقع 20/12/2017م.

إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير المستقرة، والتي لا يتحقق فيها تلبية احتياجات الناس تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين؛ ولذلك يستغل أصحاب أفكار التطرف والغلو هذا الجانب⁽¹⁾.

8- الأوضاع السياسية العالمية

من الواضح أنّ الأمة الإسلامية تمر بما سبق أن أخبر به رسول الله ﷺ من تأمر الأمم الكافرة عليها حين قال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال " بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن". فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكرهية الموت"⁽²⁾. ومن أحدث صفحات هذا الاستعداد الغربي السافر للمسلمين القراﺉ الأخير من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بنقل سفارتها لدى دولة الاحتلال إلى القدس، استفزازاً لمشاعر المسلمين.

ولا شك أن هذا التآمر العالمي له أثره في نفسية كل غيور على دينه، فإذا لم تكن تلك الغيرة مقترنة بالعلم الرشيد، ومنضبطة بالعقل السديد فرمما جرفت صاحبها إلى دروب الغلو والتطرف والعنف. والمتأمل في أدبيات دعاة الغلو والتطرف يدرك أنّ التآمر على الأمة الإسلامية وما يتعرض له الشعوب المسلمة من الظلم والاستفزاز عامل مؤثرٌ في تهيج الأتباع وتحريكهم نحو الأهداف المرسومة⁽³⁾.

(1) ينظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة، للويحق ص 73

(2) أخرجه أبو داود في السنن 514/2 (طبع دار الفكر)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم 4297، وفي السلسلة الصحيحة برقم 958

(3) بتصرف من: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة، للويحق ص 78

المبحث الثالث: طرق مكافحة التطرف الديني في المجتمعات المعاصرة

بنظرة فاحصة إلى الأساليب المستخدمة في مكافحة التطرف الديني حاليا يتضح أن جلها ينصب الاهتمام فيه على جانب المقاومة لآثار التطرف بعد ظهورها. وفي نظري المتواضع فإن الاهتمام الأكبر يجب أن يكون من نصيب الاستراتيجية الوقائية لداء التطرف، وإيجاد حصانة قوية ضد الأفكار المتطرفة، لا سيما لدى الشباب بحكم كون هذه الفئة هي الأكثر وقوعا في هذا الداء العضال.

وتظهر أهمية هذا المسلك -أعني مسلك الاهتمام الأكبر بالوقاية- في كونه الأكثر نفعا وأقل تكلفة في مكافحة التطرف والغلو. وفي هذا الإطار نفهم الهدف وراء ما تبذله حكومات دول العالم المختلفة اليوم في جهود مضمّنة وميزانيات متنامية الحجم في تقوية أجهزة الاستخبارات، ومكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، لما أدركت أن تكلفة الوقاية من العنف والتطرف والإرهاب أقل بكثير من تكلفة محاربة رموزها أو مقاومة آثارها⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى، فإن التطرف العنيف قلّ أن يقع عن فراغ، وإنما ينبع عن فكر أيديولوجي قد تشربه المتطرف وتبناه، ولهذا فهو مستعدّ للتضحية بكل ما يملكه في سبيل ذلك. فأبي مقاومة لهذا التصرف -بالقبض على المتطرفين أو سجنهم أو حتى قتلهم- وإن كتب لها نجاح، فهو نجاح مرحلي قد لا يدوم طويلاً، ما دام في القوم بقية من حملة الأفكار المتطرفة التي هي المغذية الحقيقية للعنف والأعمال التخريبية.

فلهذا وذاك، لقد جعلت الحديث في هذا الجزء من البحث يدور حول واجبات كل فرد أو مؤسسة أهلية كانت حكومية لا في معالجة آثار التطرف بعد وقوعها فحسب، بل وفي الوقاية من التطرف والغلو ومنع وقوع الشباب بوجه خاص في مصيدة المتطرفين الغالين بقدر الإمكان.

(1) See: Adeniyi, NM: Banks' Compliance with Anti-Money Laundering Laws in Nigeria: Lessons from the United Kingdom (unpublished Ph.D. thesis from IIUM), pp10-11, 47

المطلب الأول: دور الأسرة

لطالما تُجوهل دور الأسرة في مكافحة التطرف في المجتمع، إذ تركز أغلب التحليلات والنقاشات على ما يناط بالمؤسسات التعليمية والإعلامية والحكومية من مسؤوليات في هذا الجانب. والأسرة هي الخلية الأولى، والمكون الأساس من مكونات المجتمع المختلفة، بل هي المحضن الطبيعي للناشئة، وفيها توضع اللبنة الأولية لتكوين شخصية كل فرد من أفراد المجتمع. فلا أدق تصويراً للدور الحيوي والمركزي الذي تلعبه الأسرة في تكوين شخصية الإنسان وتوجيهه نحو الخير أو الشر مما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"⁽¹⁾.

ودور الأسرة في مكافحة التطرف والعنف ذو ثلاثة أبعاد: بنائي، وذلك بتربية الطفل على المبادئ الإسلامية السمحة، وبناء المناعة الذاتية المدافعة للعوامل المسببة لخروج السلوك البشري عن جادة الصواب؛ ووقائي، بالتحذير من الأفكار المنحرفة وذكر العواقب الوخيمة لها بأحب الطرق إلى الأطفال؛ وعلاجي، إذا لوحظت على أي فرد من أفراد الأسرة بوادر العنف أو التطرف الفكري.

وعلى الأسرة أن تهتم من خلال دورها التربوي بتنشئة الطفل على المحبة، والتعاون، والتسامح، وتقبل الآخر، وسعة الصدر لوجهات النظر المخالفة في حدود ما يسمح به الشرع الحنيف. وتحرص أيضاً على غرس القيم والفضائل والآداب والعادات الاجتماعية التي تدعم حياة الفرد وتحمته على الشعور بمسؤوليته تجاه مجتمعه ووطنه وأمتة، والبشرية جمعاء⁽²⁾. وعليها كذلك أن تغرس دروس العبر التي يجني الأبناء من ورائها الكره للفرقة والمشاحنة والعنف، فعندما تزرع هذه المعاني الأصيلة فإنها بالتأكيد لن تقتصر ثمارها على أفراد الأسرة فحسب، بل تمتد إلى المجتمع بأكمله.

يبدأ دور النساء خاصة في الحد من ظاهرة العنف مبكراً لأن المرأة -أمًا كانت أو زوجة أو أختا- سرعان ما تكتشف مظاهر التطرف الفكري والميل إلى العنف عند الأبناء أو

(1) متفق عليه، انظر: صحيح البخاري 456/1، وصحيح مسلم 2047/4

(2) الدور الرقابي والعلاجي في مكافحة الغلو والتطرف للدكتور إبراهيم بن ناصر الحمود، منشور على الانترنت:

www.al-jazirah.com/2014/20141126/rj4.htm . تاريخ زيارة الموقع 2017 / 12 / 24

الزوج أو الإخوة، لذا، فهن البوابة الأولى أو حائط الصد الذي ينبغي تدعيمه لغرض تقوية التأثير المباشر للنساء على محيطهن الأسري. والأم بصفة خاصة تلعب دوراً مهماً في مراقبة تصرفات أولادها، والتعرف على أصدقائهم واتصالاتهم، واستخدامهم للإنترنت وسائر وسائل التواصل الاجتماعي، فعليها مسؤولية كبيرة في الوقاية من التطرف من أول ظهور أماراته⁽¹⁾.

المطلب الثاني: دور المؤسسات التعليمية

إنَّ المجتمعات الحديثة اتجهت بوظيفة المدرسة من مجرد مؤسسة للتعليم إلى مؤسسة ذات وظيفة اجتماعية مسايرة لتطورات الحياة الاجتماعية، كما أصبحت المدرسة توصف بأنها مجتمع صغير وجهاز اجتماعي يدرّب طلابه على العمل المحلي وعلى تحمل المسؤولية.

وتزداد أهمية دور المؤسسات التعليمية من مدرسة أو كلية أو جامعة في مكافحة التطرف نظراً لأنَّ الطلبة - في ظل التغيرات الاجتماعية الحديثة - يقضون معظم أوقاتهم الآن في هذه المؤسسات مقارنة بما يقضونه من الساعات في المنزل أو المسجد. وإذا أردنا لمؤسساتنا التعليمية أن تسهم إسهاماً فعالاً في الوقاية من مرض التطرف والغلو، فلا بد من تركيز اهتمامنا على المناهج التعليمية، والمعلم، وإدارات التوجيه والإرشاد.

أما العناية بمناهج التعليم فيجب أن تطلّ حتى سياسات التعليم، والخطط الدراسية، والكتب المقررة. بحيث تنبثق سياستنا التعليمية من تعاليم ديننا، ويكون للعلوم الشرعية التي تعصم بإذن الله من الغلو وسائر ألوان الانحراف العقدي والفكري نصيب وافر من الخطط الدراسية، مع العناية الخاصة بما يقرّر تدريسه من الكتب حتى تكون خالية تماماً من دسائس منظري الغلو والتطرف.

والمعلم هو المثل الأعلى في أعين التلاميذ لا سيما في المراحل التعليمية المبكرة، فإذا نجحنا في تنقية مناهجنا التعليمية من ملامح التطرف والغلو، فلا بد أن ينضاف إلى ذلك نجاح مماثل في اختيار المعلمين الأكفاء والأمناء. فإن المعلم إذا لم يكن مؤهلاً لأداء الرسالة

(1) المنهجية التربوية ودورها في مواجهة ظاهرة التطرف، مركز الإعلام الأمني،
www.policemc.gov.bh/research/legal-topics/1108 تاريخ زيارة الموقع 2017 / 12 / 24

التعليمية، فلن يكون للسياسة التعليمية، والخطة الدراسية الجيدة أثرٌ في العملية التربوية؛ لأن المعلم هو حجر الزاوية فيها⁽¹⁾.

وللمعلم دور كبير في مكافحة التطرف الفكري والعنف بسبب قدرته على الوصول الى عقول ونفوس التلاميذ الذين يرون فيه مثلاً أعلى يستحق التقليد والاتباع، وبسبب طول الوقت الذي يقضونه تحت رعايته في ساعات الدراسة وطوال السنة الدراسية. فلا يقتصر دور المعلم على إلقاء الدروس وتصحيح أوراق الامتحان والواجبات المنزلية، بل عليه أن يجتهد في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب مهما كان مصدرها، ويجب أن تكون لديه المعلومات الكافية عن كل طالب، وعن نموه البيولوجي والفكري والأخلاقي⁽²⁾. ويحرص على فتح باب الحوار والمناقشة البناءة للطلاب، وإبراز مكانة العلماء وضرورة الرجوع إليهم في كبار المسائل⁽³⁾.

دور إدارات التوجيه والإرشاد

أما إدارة التوجيه والإرشاد -أحد الأجهزة المكتملة لعملية التعلّم والتدريس في المدارس- فهي تهدف إلى مساعدة المتعلّم لكي يفهم ذاته، ويدرس شخصيته، ويعرف خبراته، ويحدد مشكلاته، وينمي إمكاناته، ويحل مشكلاته في ضوء معرفته ورغبته وتعليمه وتدريبه، لكي يصل إلى تحديد وتحقيق أهدافه، وتحقيق الصحة النفسية، والتوافق شخصياً وتربوياً ومهنياً وأسريراً⁽⁴⁾.

(1) مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة ص108-109

(2) تفعيل دور الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة في ترسيخ التربية الأمنية ومكافحة الإرهاب، نحا حسن عوض، library.iugaza.edu.ps/thesis/120073.pdf. تاريخ زيارة الموقع 2017/12/24م

(3) دور التربية في مكافحة التطرف والإرهاب، محمد بن عمر بازمول، ص32-35 www.radiosunna.com/.../دور_التربية_في_مكافحة_التطرف_والعنف. تاريخ زيارة الموقع 2017/12/24م

(4) الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين: تصور مقترح، ل فواز بن مبيريك حماد الصعيدي، www.al-eman.com/.../الأساليب_التربوية_النبوية_المتبعة_في_التوجيه_وتعديل_السلوك_وكيفية_تفعيلها_مع_طلاب_المرحلة_الثانوية_بنين. تاريخ زيارة الموقع 2017/12/24م

وتقع على عاتق القائمين على إدارات التوجيه والإرشاد خاصة مسؤولية علاج من لوحظت عليه بوادر التطرف الفكري أو السلوكي من الطلبة. والطالب لا سيما في سن المراهقة (بين المدارس الثانوية والمرحلة الجامعية) يغلب عليه حب التحرر من الرقابة والإشراف، ويرى في نفسه الرجولة التي تكفل له الأخذ بزمام أموره بنفسه.

المطلب الثالث: دور العلماء والمؤسسات الدينية

دور العلماء والمؤسسات الدينية في مكافحة التطرف الديني دور محوري، وذلك لأن المتطرف يرى فيما يقوم به ديناً يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن علاج داء التطرف علاجاً حاسماً إلا بالحوار الجاد، والمجادلة والتي هي أحسن، من خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتمدة من قبل الراسخين من أهل العلم والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بمجدارتهم.

ومن مستلزمات القيام بذلك الدور الحيوي استقراء شبهات المتطرفين ودعاويهم وتلبيساتهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم، والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين منهم⁽¹⁾.

ومحاورة المتطرفين ومقابلة شبهاتهم بالحجج الدامغة من قبل العلماء الربانيين ليس بدعا من القول أو العمل، بل قد فعلها خير القرون صحابة رسول الله ρ ، وأثمرت نجاحاً منقطع النظير. فقد روى الحاكم بإسناده إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

((لما خرجت الحروية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف، أتيت عليا فقلت: يا أمير المؤمنين ابرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم قال: إني أخاف عليك، قلت: كلا، فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسلمت عليهم فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس فما هذه الحلة؟ قال قلت: ما تعيينون

(1) انظر: الغلو: الأسباب والعلاج للدكتور ناص العقل، مرجع سابق، ص 24 و 33

علي لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلال ونزلت: { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق } . قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم ... قلت: أخبروني ماذا نعمتم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره و المهاجرين و الأنصار؟ قالوا: ثلاثا قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله و قال الله تعالى { إن الحكم إلا لله } و ما للرجال و ما للحكم، فقلت هذه واحدة، قالوا : وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم، قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنّه محاً نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا فقلت لهم: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب و نحوها من الصيد فقال { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم } إلى قوله : { يحكم به ذوا عدل منكم } فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب و نحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة و زوجها قال الله عز و جل { إن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما } فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة. أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم. قال: و أما قولكم قاتل ولم يسب و لم يغنم أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها فلئن فعلتم لقد كفرتم و هي أمكم و لئن قلت لست أمنا لقد كفرتم فإن كفرتم فإن الله يقول: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم } فأنتم تدورون بين ضاللتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض. قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. و أما قولكم : محاً اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون ورأيكم قد سمعتم أن النبي صلى الله عليه و سلم يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو و أبا سفيان بن حرب فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمير المؤمنين : اكتب يا علي هذا ما اصطلى عليه محمد رسول الله فقال المشركون : لا و الله ما نعلم أنك

رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنك تعلم أني رسول الله اكتب يا علي هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. قال عبد الله بن عباس : فرجع من القوم ألقان، وقُتِل سائرهم على ضلالة))⁽¹⁾.

والحوار مع المتطرفين المعاصرين يجب أن ينضبط بضوابط كي لا ينقلب إلى سلاح جديد يستخدمه المتطرفون في التضليل. ومن أهم تلكم الضوابط أن يتنبه من يحاورهم إلى منهجهم في بتر النصوص والاعتماد على انتقادات من كتب العلماء السابقين والاستدلال بها في غير سياقها العلمي أو التاريخي، على غرار من يحتج بقوله تعالى "فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ" [الماعون : 4] لتضليل عوام المسلمين⁽²⁾.

ومن الضوابط كذلك أن يكون الحوار في محل المتطرفين أو معسكرهم وليس أمام عامة المسلمين، كي لا يتأثر العوام بشبههم. وأن يكون المحاور لهم عالماً بالشرع وله خبرة بفن المجادلة وآداب الحوار، وأن يكون الحوار والمجادلة معهم بالتي هي أحسن. وكل هذه الضوابط متوافرة في قصة محاورة ابن عباس -رضي الله عنهما- للخوارج.

ومن واجبات العلماء تجاه وقاية المجتمع من التطرف أو مقاومة آثاره العمل على توضيح كل ما يشكل من أحداث مرت بالأمة الإسلامية في القديم أو الحديث، حتى لا نوقع الناس في متاهة التقديرات والتصورات الخاطئة، أو نعطي الفرصة لدعاة الفتنة في توظيف هذه الأحداث لتحقيق أهدافهم.

وعلى العلماء كذلك -وفقهم الله- نشر الوعي الصحيح بين العامة والخاصة، والذي يقطع بإذن الله دابر أهل الفتنة ويغرس في أفراد المجتمع العقيدة السليمة، والوسطية والاعتدال ونبذ الغلو والتطرف، والحرص على الجماعة، وتحقيق الأمن، والتجرد من الهوى والعصبية، وفقه التعامل مع المخالف.

(1) المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري 164/2، وقال "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي في التلخيص.

(2) هذا الأسلوب كثير ما ينتهجه دعاة التنصير في المجتمعات الأفريقية، فيترجمون هذه الآية منفردة دون ما تلاها، وهو قوله تعالى: ((الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)) [الماعون: 5].

فإن علماء الأمة متى ما قصرُوا في أداء هذه المهمة سنحت الفرصة للمتعلمين للإدلاء بآرائهم التي تعتمد في أغلبها على الشحن العاطفي، وتحشو أذهان المستمعين بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصّل شرعاً، والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة⁽¹⁾، أو تسقط علماء الأمة في أعين شبابها وتفقدهم الثقة الواجبة فيهم.

فالعالم حتى وإن أخطأ يجب الاعتدال في الحكم على زلاته من غير حماس أو مزايدات أو تشهيرات. والمنهج السليم في ذلك: سلوك طريق الاعتدال، بتعظيم من يستحق التعظيم ومحبته وموالاته، وإعطاء الحق حقه. فيعظّم الحق، ويُرحم الخلق، والعلم بأن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويجب من وجهه، ويغض من وجهه⁽²⁾. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة: استحق من الموالاتة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه"⁽³⁾.

ولعله من المناسب أن تدرس المؤسسات الدينية كوزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية إمكانية ضبط الخطاب الديني على المنابر وفي وسائل الإعلام المختلفة، بغية الوصول إلى توافق حول ما يجوز طرحه من خطاب معتدل ينبذ العنف، وينأى عن التطرف قولاً أو فعلاً.

(1) بتصرف من: الغلو: الأسباب والعلاج للدكتور ناصر العقل ص16.

(2) انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة ... ص118.

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية 209/28

المطلب الرابع: دور المؤسسات الحكومية والقضائية

للحكومات دور مهم في مكافحة التطرف بشقيها الوقائي والعلاجي، إذ من الركائز الأساسية لمحاربة التطرف محاربة حاسمة: التعامل بحزم والضرب بقوة السلطان إذا لزم الأمر بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء.

ولما كان الظلم سببا من أسباب جنوح البعض إلى التطرف، ناسب أيضا أن نطالب حكوماتنا في جميع المستويات بالعمل على إزالة أسباب الظلم في المجتمعات؛ فقد يؤدي تطرف الحاكم في جوره إلى تطرف المحكوم في تكفيره والخروج عليه، وفي كلٍ شرّ. العدل بين جميع فئات الشعب وطبقاته مطلب شرعي وعامل مهم من عوامل مكافحة التطرف. قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا [النساء:58]".

ومن أهم ما يجب على الحكومات القيام به في هذا الجانب منع الجرائم والاعتداءات وسد أبوابها، وتطبيق شرع الله فيمن اعتدى على الأنفس والحرمات من المتطرفين عقوبة رادعة لكل من تسول له نفسه سلوك مسلك المخربين في ترويع الأمنين. قال تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة:179].

أما من يتوب منهم ويتخلى عن الأفكار التخريبية، فعلى الحكومة وضع برامج تأهيلية لهؤلاء واحتضانهم بهدف إعادة توجيههم نحو الإسهام في بناء مجتمعاتهم، مما يمنحهم الثقة مجدداً بالدولة وبمؤسساتها. فقد رأينا من خلال ما أوردهنا سلفا من قصة الخوارج كيف حاورت الدولة من قبل الحوار منهم، ثم قاتلت من أصر على البغي منهم، مع اليقظة والحذر من فلولهم⁽¹⁾.

والأوضاع الاقتصادية السيئة مما يستغله دعاة التطرف كما أسلفنا، فيجب على الحكومات السعي لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة، وتوفير فرص عمل للشباب من خلال تفعيل الاقتصاد وتنمية رأس المال البشري بشتى صورها وأشكالها.

(1) انظر: التطرف في الدين: دراسة شرعية، للأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق الطبطبائي، منشور على الإنترنت: www.assakina.com/files/books/book45.pdf. تاريخ زيارة الموقع: 2018 / 1 / 7م

المطلب الخامس: دور وسائل الإعلام

لوسائل الإعلام أهمية بالغة في كل مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، وهي تتميز بسرعتها في التأثير وقدرتها على نقل الأفكار الجديدة والمهارات المتطورة، كما تتميز بمخاطبتها للصغار والكبار على حد سواء⁽¹⁾.

وسائل الإعلام - كما يتضح من اسمها- وسيلة، فقد تستخدم في خير كما تستخدم في شر. ومع الأسف الشديد فإنّ ذوي الأفكار المتطرفة قد وجدوا ضالتهم في هذه الوسائل، لا سيما الإنترنت وقنوات التواصل الاجتماعي، فوظفوها أيما توظيف في بث سمومهم ونشر أفكارهم. فالتحدي الحقيقي هو كيف لدعاة الإصلاح وحملة لواء السلام والوئام أن يستفيدوا من هذه الوسائل ذاتها في نشر الخير، ودحض مفتريات المنحرفين الغالين، ورد شبهاتهم.

وبالنسبة لما ينشر في الفيسبوك وسائر وسائل التواصل الاجتماعي خاصة - وهي الأكثر اجتذاباً لفئة الشباب- يمكن إنشاء مجموعات متخصصة للتعامل مع ما ينشر في هذه القنوات بهدف مواجهة تلك الأفكار المنحرفة، ومحاربتها بمنشورات مناسبة مدعومة بالصوت والصورة وبنفس قوة وتأثير المنشورات المتطرفة⁽²⁾. ويمكن الاستفادة في هذا مما تنتجه المؤسسات الدينية من رد شبهات المتطرفين وإبطال حججهم، مع ضرورة التنوع في الطرح والإبداع في الأسلوب.

ومن ناحية أخرى ينبغي الحد من المساحة الإعلامية المتاحة أمام المتطرفين لنشر أخبارهم، فقد اعتبر بعض الخبراء تغطية الأعمال التخريبية التي ينفذها المتطرفون على نطاق

(1) دور المؤسسات الاجتماعية في تحقيق الأمن الفكري رؤية نظرية ودراسة تحليلية، د. سعيد بن سعيد ناصر حمدان ود. سيد جاب الله السيد عبد الله، منشور على الانترنت:

amnfkri.com/dirasat/Dor_moassat_amnfiker.pdf . تاريخ زيارة الموقع: 2017/12/26م.

(2) تقرير عن: سبل الحد من التطرف الفكري والعنف منشور على الإنترنت www.iraqfoundation.org/wp.../07/ تقرير-الجلسة-الحوارية.docx. تاريخ زيارة الموقع: 2017/12/24م.

واسع في وسائل الإعلام بمثابة مكافأة لهم على أعمالهم الإجرامية، وقد يكسبهم ذلك سيلاً من المتعاطفين⁽¹⁾.

المطلب السادس: دور منظمات المجتمع المدني

منظمات المجتمع المدني (civil society organizations) عبارة عن: جمعيات ينشئها أشخاص تعمل لنصرة قضية مشتركة، وهي تشمل المنظمات غير الحكومية (NGO)، والنقابات العمالية، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري. أما الميزة المشتركة التي تجمع بين منظمات المجتمع المدني كافة، فتتمثل في استقلالها عن الحكومة⁽²⁾.

ومن أهم سماتها كذلك القدرة على التكيف، إذ إنها تمتلك القدرة القانونية والتنظيمية بشكل يمكنها من التكيف مع المتغيرات في البيئة التي تعمل بها، والتجانس، بحيث تعمل وفق منظومة متكاملة وبرامج مدروسة وبشكل توافقي، مما يقلل الصراعات والاختلافات داخل هذه المنظمات⁽³⁾.

إن النفس البشرية إن لم تشتغل بالخير اشتغلت بالشر. وللشباب -أكثر الفئات العمرية تعرضاً للتطرف العنيف- من ذلك النصيب الأوفى. فعلى من يريد معالجة انحراف الشباب أياً كان ذلك الانحراف: القصد إلى إشغالهم بالأعمال النافعة، التي تبعدهم عن دواعي الانحراف وأسباب الزيغ. ولا شك أن منظمات المجتمع المدني توفر للشباب فرصاً ذهبية لإشغال أنفسهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع، ويبعدهم عن الانعزالية التي قد تفضي بهم إلى مهلكة التطرف⁽⁴⁾. فمن خلال هذه المنظمات يجد الشاب ما يناسب ميوله من الاشتغال

(1) الإعلام والإرهاب. إشكاليات وتحديات، د. حسن علي محمد منشور على الإنترنت www.arabmediasociety.com/articles/.../2016060112355_.pdf تاريخ زيارة الموقع: 2017/12/24م.

(2) من الموسوعة الحرة (Wikipedia) <https://ar.wikipedia.org/wiki/> .: تاريخ زيارة الموقع 2018/1/7م.

(3) بتصرف من: (دور منظمات المجتمع المدني في محاربة التطرف) وكالة عمون الاخبارية

تاريخ زيارة الموقع 2017/12/24م. <http://www.ammonnews.net/demo/article/284995>

(4) انظر: مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة .. ص 110

بالعبادة أو الدعوة، أو بالتعلّم والتعليم، أو بالترفيه والترويح الحلال، أو بأعمال الخدمة الاجتماعية التطوعية، أو بتعلّم صناعة أو حرفة معينة، أو المشاركة في الأندية الأدبية أو الرياضية، وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن العمل في إطار منظمات المجتمع المدني يكسب هؤلاء الشباب ثقافة الحوار، والتعددية، وتقبل وجهات نظر الآخرين، ومراعاة شعورهم، والتعاون على البر والتقوى، مما يسهم بشكل مباشر في الحد من ثقافة التطرف والعنف⁽¹⁾.

1) انظر: دور منظمات المجتمع المدني في محاربة التطرف، مقالة متاحة على الانترنت، وقد تم نشرها في جريدة الدستور العمانية يوم الثلاثاء 11 تشرين الأول / أكتوبر 2016م . انظر: <https://www.alhurra.com/z/386/pc3.html?p=304>. تاريخ زيارة الموقع 2017/12/24م .

الخاتمة

لقد أتينا بهذا إلى نهاية المطاف في دراستنا لظاهرة التطرف العنيف والسبل الكفيلة - إن شاء الله - بالوقاية منها ومعالجتها، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وجرياً على العادة الحسنة للباحثين، فإننا نورد خلاصة البحث وأهم نتائجه في النقاط الآتية:

أولاً: إن مصطلحي "الراديكالية" و"التطرف" يجتمعان من وجه وتختلفان من وجه آخر. فالأول قد يستخدم فيما يمدح، وأما الأخير (التطرف) فلا يستخدم في غير ما يذم؛ إذ يعني دوماً التشديد ومجاوزة حد الاعتدال.

ثانياً: الغلو أو التطرف هو الزيادة على ما يُطلب شرعاً؛ وبناء على ذلك فلا غلو ولا تطرف في الالتزام الصحيح بشيء من أوامر الشرع أو نواهيه.

ثالثاً: إنَّ استيراد مصطلح "الأصولية" من الإعلام الغربي وإسقاطه على كل محاولة للالتزام بأحكام الدين الإسلامي خطأ منهجي ينطوي على الخلط والتضليل؛ لأن الخلفية التاريخية الموجودة لدى الغربيين تجعلهم إذا سمعوا كلمة "الأصولية" تمتلئ أذهانهم رعباً ونفرةً بسبب ما صاحبها من المعاملات الهمجية التي اقترفها إخوانهم النصارى باسم الدين، حيث حورت الإنسانية والتقدم العلمي فيما عرف في التاريخ بمحاكم التفتيش.

رابعاً: التطرف أو الغلو لا دين له ولا جنس يختص به، بل هو آفة عالمية منبوذة من جميع الأديان والأجناس؛ لذا، فإنه من الغلو والتطرف أيضاً أن نطعن في دين أو جنس أو بلد ما، لمجرد وجود من غلا وتطرف فيه.

خامساً: موقف الإسلام من التطرف ثابت لا يتغير ولا يتبدل؛ وهو موقف الرد، والنبذ، والإنكار المغلظ، وقد تنوعت طرق دلالة الكتاب والسنة على ذلك، أوردنا في البحث جملة منها.

سادساً: إنَّ أبرز أسباب تفشي داء التطرف والغلو في المجتمعات المعاصرة: الجهل، والاجتهاد من غير أهلية، واتباع المتشابه من النصوص، وتغييب أو غياب دور العلماء الربانيين في توجيه الأمة، ومحاربة التمسك بالدين والعمل بسنة النبي ρ ، والاضطرابات النفسية، والأوضاع الاقتصادية المحلية في كل مجتمع، والأوضاع السياسية العالمية.

سابعاً: أما ما تناولته هذه الدراسة من طرق مكافحة التطرف فقد تمحورت حول مهمات وأدوار كلٍّ من الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والعلماء والمؤسسات الدينية، والمؤسسات الحكومية والجهاز القضائي، ووسائل الإعلام، ومنظمات المجتمع المدني، كلٌّ بحسب طاقته وطبيعة عمله.

هذا، ويوصي الباحث بما يلي:

- 1- إعادة صياغة البرامج التعليمية والثقافية وبخاصة للشباب بهدف تعزيز ثقافة التعددية والتعايش السلمي بين أطراف المجتمع كافةً.
- 2- ضبط مصادر الإفتاء في القضايا المسيرية التي تمس مصالح الأمة في الحاضر والمستقبل، وتشجيع الإفتاء الجماعي من كبار علماء الأمة في مثلها، بدلا من الفتاوى الفردية المتضاربة التي ينتقي منها دعاة الفتنة والتطرف العنيف ما يناسب أهدافهم وميولهم.
- 3- إن الجهود المبذولة في مكافحة الغلو والتطرف العنيف يجب أن تصاحبها جهود مماثلة لمقاومة التفريط المتمثل في الطعن في عقيدة الأمة والتشكيك في ثوابت الدين وبدهيته من قبل بعض مرضى القلوب، لا سيما عبر وسائل الإعلام والفضائيات العامة والخاصة. والتي قد أثبتت الدراسات أنها من أكبر ما يستفز الغيورين على الدين فيدفع ببعضهم إلى التطرف الفكري أو العملي.
- 4- تكثيف الجهود الهادفة إلى محاورة المتطرفين المسلمين أو من قد قبض عليه منهم وهم في السجون، شريطة أن يكون المحاور ممن يثق المحاور بعلمه وجدارته ونزاهته.
- 5- إن عزل مدارسنا الإسلامية عن المجتمعات من حولها يولّد نفرة شديدة من خريجي هذه المدارس تجاه كل مخالف لهم في الرأي أو الفكر عندما يجدون أنفسهم بين هؤلاء مستقبلا كزملاء عمل، أو جيران، أو شركاء تجارة. والواجب أن نكون كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص 140 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 939

ومن المقترحات العملية في هذا الجانب أن تشارك المدارس الإسلامية نظيراتها التقليدية في المسابقات الثقافية والرياضية ونحوها من طرق الترويح الحلال، دون الإخلال بشيء من ثوابت الدين.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

ثبت المصادر والمراجع

1. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -الإمام- ، ط2، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ.
2. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الطبعة الجديدة بتحقيق: محمود حسن، بيروت: دار الفكر، 1414هـ.
3. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط1، بتحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
4. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط5، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دمشق وبيروت: دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر، 1414هـ/1993م.
5. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، للدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل (نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة).
6. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة).
7. شرح النووي على صحيح مسلم ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت676هـ). ط3، بيروت: دار الفكر، 1389هـ/1978م.
8. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ). ط1 تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1375هـ/1955م.
9. الغلو: الأسباب والعلاج، للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل (نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة).
10. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، د.ط. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
11. قاموس الكتاب المقدس، ل بطرس عبد الملك وآخرين.، ط8 و9 القاهرة: دار الثقافة، 1994م.
12. قصة الحضارة، ل ول ديورانت، ط3، القاهرة: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، 1973م.

13. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، د.ط. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.
14. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ط1، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.
15. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ط2، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
16. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر: الأسباب - الآثار - العلاج، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
17. مشكلة الغلو: نظرة شرعية شاملة، للدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق (نسخة إلكترونية من موقع الألوكة على الإنترنت (www.alukah.net)
18. مصادر النصرانية: دراسة ونقدا لـ عبد الرزاق عبد المجيد أيارو، ط1، الرياض: دار التوحيد للنشر، 1428هـ.
19. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، د.ط.، الناشر: دار الدعوة، د.ت.
20. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، لمجموعة من المؤلفين، ط2، الرياض: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 1439هـ.
21. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، ط1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، 1411هـ/1991م.
22. موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرفض وموقف الرفض منهم، للدكتور عبد الرزاق عبد المجيد أيارو، ط1، الرياض: أضواء السلف، 1426هـ.
23. الولاء والبراء بين السماحة والغلو للدكتور حاتم بن عارف الشريف (نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة).